mroftalp htehaB ni knil muideM

رحلة اليقين ٧١: العظمة في كل مكان

إياد قنيبي

لأنّه لو مُثِّلتْ أنواعُ الكائنات أمامكَ على جدار غرفتك في لوحةٍ كبيرةٍ - 00:00:00
تحتوي كلُّ نقطةٍ منها على صورةٍ لكائنٍ أو جزءٍ منه، - 00:00:05
ثم أغمضتَ عينيكَ ووضعتَ إصبعكَ عشوائيًّا على أيّة نقطةٍ، - 00:00:10
فإنّ بإمكان العِلْم أن يُحدِّثك لساعاتٍ عن عظَمة الإتقان والإحكام في هذه النُّقطة! - 00:00:14
)مؤثرات صوتية(- 00:00:20
السّلامُ عليكم ورحمة الله - 00:00:25
إخوتي الكرام، عندما نتكلّمُ عن الأدلّة العقليّةِ على وجود الله - 00:00:26
فإنّ أكثر دليلين يُذكران عادةً هما: دليل الإيجاد، ودليل الإتقان - 00:00:30
دليل الإيجاد للمخلوقات تكلّمنا عنه في حلقة)لماذا لا بدّ مِن خالقٍ؟(- 00:00:36
أمّا دليل الإتقان فنبدأ بالحديث عنه اليوم - 00:00:42
والحقيقة أنّي أتهيّبُ مِن الإقبال على الحديث عن هذا الموضوع -موضوع الإتقان في الخَلْق- - 00:00:45
أتهيّب لأنّه المهمّة السّهلة الصّعبة - 00:00:50
نعم، مِن السّهل أن تتكلّم عن إتقان الخَلْق، - 00:00:53
لأنّه لو مُثِّلَتْ أنواعُ الكائنات أمامكَ على جدار غرفتكَ في لوحةٍ كبيرةٍ - 00:00:56
تحتوي كلُّ نقطةٍ منها على صورةٍ لكائنٍ أو جزءٍ منه، - 00:01:01
ثمّ أغمضتَ عينيكَ ووضعت إصبعك عشوائيًّا على أيّة نقطةٍ، - 00:01:06
فإنّ بإمكان العِلْم أن يُحدِّثك لساعاتٍ عن عظَمة الإتقان والإحكام في هذه النُّقطة! - 00:01:11
لكنْ في الوقت ذاته هناك صعوبةٌ في الحديث عن الإتقان؛ - 00:01:18
صعوبةٌ لأنّ الحديث عن نموذجٍ ونموذجين أو عشرةٍ وعشرين من الإتقان - 00:01:22
يهضِم الموضوعَ حقّه - 00:01:27
فالإتقان مبثوثٌ في كلّ تفصيلٍ من تفاصيل هذا الوجود - 00:01:29
بل الإتقان يساوي الوجود - 00:01:33
قال الله تعالى: - 00:01:36
﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾]القرآن 72 : 88[- 00:01:38
وقال: ﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)6(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾]القرآن 23 : 6-7[- 00:01:41
لذلك فعندما أقول لك: تعال نرَ نماذج من الإتقان، - 00:01:48
فهذا يساوي أن أقولَ لك: تعال نرَ نماذج من الوجود، - 00:01:52
فالإتقان يساوي كلّ شيءٍ في الوجود - 00:01:57
إتقان الخَلْق يظهرُ في تَهْيِئةِ لساني وفكّيّ وأسناني - 00:02:00

لأستطيعَ التحدُّث لكم عن الإتقانِ في الخَلْق، - 00:02:04
يظهرُ في إبصاركم لي وسماعِكم صوتي وفهمِكم كلامي واحتفاظكم في ذاكرتكم بما أقول، - 00:02:07
يظهر حتّى في حركاتِ المُنكِر الذي يتأهّب ليَسخَر، أو يُكذِّب ما أقولُ، - 00:02:14
مع أنّ كلّ العمليّات التي يقوم مِن خلالها بذلك تشمل إتقانًا في تفاصيل خَلْقه - 00:02:20
نحن لا نُقدِّر حالةِ الإتقانِ والنظامِ والإحكامِ التي نعيش فيها، لأنّنا لم نجرّب البديلَ عنها - 00:02:26
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾]القرآن 53: 44[- 00:02:33
آيةٌ عظيمةٌ حقًّا! - 00:02:38
أكثر مِن تسعين عنصرًا طبيعيًا مُكتشَفًا في هذا الوجود، - 00:02:40
رُتِّبت نيوترونات كلٍّ منها وبروتوناتُه في أنْوِيَةٍ محدّدة الحجم بدقّةٍ، - 00:02:43
تجذِب الإلكترونات في مداراتٍ بالأبعادِ اللّازمة، - 00:02:49
هذه العناصر تفاعلت بقوانين كيميائيةٍ ثابتةٍ لتعطيَ مُركّبات، فتهيّأت الفرصةُ للحياة - 00:02:52
غلافٌ جويٌ بالارتفاع والكثافة المناسِبَين يحتوي غازاتٍ بالنِّسب اللازمة، - 00:02:59
وينقل الموجات الصوتيّة بسرعةٍ مضبوطةٍ - 00:03:05
تربةٌ مهيّأةٌ لاستقبال البذور واختزان ماء الأمطار - 00:03:08
ماءٌ بِلُزوجةٍ وخواصّ إذابةٍ محدّدةٍ، - 00:03:13
يتبخّر عند درجة حرارةٍ معيّنةٍ ليُشكِّل السُّحب، ويتكثّف عند درجةٍ أخرى ليهطل مطرًا، - 00:03:15
وكلُّ ذلك بالمقادير المناسبة لدورته في الطبيعة - 00:03:22
ضوءٌ يسيرُ بالسُّرعة المناسبة - 00:03:27
جاذبيةٌ أرضيةٌ بالمقدار اللّازم، بحيث لا نَسبحُ في الهواء، ولا تلتصقُ أقدامنا في الأرض - 00:03:29
أرضٌ تدور بسرعةٍ دقيقةٍ لليلِ ونهارٍ يتعاقبان للنّوم والعمل - 00:03:35
فصولٌ أربعةٌ تجدِّد النّفس وتُحيي الثمار - 00:03:40
بُعدٌ دقيقٌ للشّمس، فلا تحرقنا، ولا نتجمّد - 00:03:43
آلاف المليارات من الكواكب والنجوم، - 00:03:47
تسير بسرعةٍ مناسبةٍ في مداراتٍ محدّدةٍ بدقّةٍ شديدةٍ، فلا تصطدم - 00:03:49
نشأنا ونحن نرى الكون هكذا، فاعتدنا عليه - 00:03:55
ولا نتصوّر كم هو مذهلٌ مدهشٌ، لأنّنا لم نرَ حالةً ليس فيها نظامٌ - 00:03:59
نحن نعرفُ معنى الشّبع لأنّنا جرّبنا الجوعَ، - 00:04:05
نعرف معنى الرّاحةِ لأنّنا جرّبنا التّعبَ، - 00:04:08
وبضدِّها تتميّزُ الأشياءُ... - 00:04:11
لكنّنا لا نُقدِّر عظَمة النّظام والإتقان لأنّنا لم نر حالةً ليس فيها إتقانٌ - 00:04:13
بمعنًى آخر، لا نقدِّر عظَمة وجود الله، لأنّنا لم نجرّب حالةً ليس فيها الله - 00:04:20
لو أنّ الأرض لا تدورُ، - 00:04:28
وكنّا في الجزء المضيءِ دومًا، ولم يحجب نورَ الشمس عنّا في بيوتنا حاجبٌ، - 00:04:29
لما عرفنا معنى النور لأنّنا لا نعرف معنى الظّلام، إذْ لم نجرّبه يومًا - 00:04:35
ولو حدّثَنا محدِّثٌ حينئذٍ عن أهمية النور لما فهمناه، - 00:04:40

لأنّنا لا نتصوّر الظلامَ الذي يبدّده هذا النُّور - 00:04:44
كذلك لم نجرّب حالةً ليس فيها إتقانٌ، - 00:04:48
ولم نجرّب حالةً ليس فيها الله - 00:04:51
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾]القرآن 42:53[ونوره لا يغيب، - 00:04:55
لأنّه ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾]القرآن: 2: 53[- 00:04:59
لذلك فعندما نَذْكر في هذه السلسلة ما يقوله الإلحاد - 00:05:03
فإنّنا نرسم الظلامَ حتى نستطيع أن ندركَ قيمةَ نورِ اللهِ بالمقارنة به، - 00:05:07
نرسم الظّلامَ الذي لم نشاهده يومًا ولن نشاهده؛ ظلامَ عدم وجود الله - 00:05:13
في حلقة)كيف يهدم الإلحاد العقل والعِلْم(- 00:05:19
بيّنا أن وجود الله هو القاعدة التي تتأسّس عليها حقائق الأشياء، - 00:05:22
وأنّ إنكار وجوده يؤدّي إلى إلغاء قيمة العقل والعِلْم التجريبيّ، - 00:05:27
وإلى القول بأنّ الأشياءَ لا حقائق لها، - 00:05:32
وفي الحلقة التي تليها بيّنا أنّ وجودَ إلهٍ بصفات الكمال المُطْلَق - 00:05:34
هو الأساس الوحيد الذي يمكن أن تقوم عليه الأخلاق - 00:05:39
كثيرٌ من الإخوة وجد صعوبةً في فهم هذا الكلام، - 00:05:43
لأنّه ببساطةٍ لم يستطع تصوُّر حالةٍ ليس فيها نورُ الله - 00:05:47
عندما نتكلّم في الحلقات القادمة عن بعض مظاهر الإتقان في الخَلْق، - 00:05:53
ما الذي نفعله بذلك؟ - 00:05:57
نحن نُعتّم صورة الكونِ الكليّةِ، ونتركُ النورَ في هذا الجزءِ المحدّدِ - 00:05:59
لنستطيعَ أن نراه ونعطيه شيئًا من قَدْره، - 00:06:04
بعدما أَلِفناه طويلًا ولم نحسّ بالعظَمةِ في إتقانه - 00:06:07
ما ذكرناه وما لم نذكرهُ من قوانينَ ضابطةٍ تسمح بالحياة، - 00:06:11
لو اختلّ شيء منها ولو بمقدارٍ ضئيلٍ لما بقيتْ حياةٌ، - 00:06:16
ولزالتْ حالة النّظام والتناسق في الكون - 00:06:20
مَن يُمسك الجسيماتِ في الذّرّاتِ أن تتناثر؟! - 00:06:23
مَن يُمسك طاقةَ الذرّات أن تتحرّرَ وتتفجّرَ كما تتحرّرُ الطاقةُ في القنابلِ الذريّة؟! - 00:06:26
مَن يُمسك المخلوقاتِ على الأرضِ أن تتطاير؟! - 00:06:32
مَن يُمسك الكواكبَ والنجومَ أن تصطدمَ؟! - 00:06:35
﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾]القرآن: 53 :14[- 00:06:38
ستقول: "تمسكها القوانين" - 00:06:45
هذه القوانين هل هي فاعلٌ مُريدٌ حيٌّ؟! - 00:06:48
هل قانون الجاذبيّة -مثلًا- إلهٌ مُريدٌ مُختارٌ يعلمُ ما يفعلُ؟! - 00:06:52
هذه القوانين ما هي إلا أوصافٌ لما يحصل، لا أنّها فاعلٌ مختارٌ يُسبِّب ما يحصل، - 00:06:58
هي أوصافٌ لآثار أفعال الله تعالى في خَلقِه - 00:07:05
فقناعتنا بأنّ الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا - 00:07:08

ليست لأنّ القرآنَ يقولُ ذلك فحسب؛ - 00:07:12
بل ولأنّ هذا هو المقتضى العقليّ لكون القوانينَ خواصّ غيرَ عاقلة، لا تُنشئ نفسها - 00:07:15
القوانينُ ما هي إلا أوصافٌ لأفعالِ الله في خَلقِه - 00:07:22
القوانينُ ليست بدائلَ عن قيوميّةِ اللهِ على خَلقِه - 00:07:27
عندما نقول مثلًا: "الماء يغلي على درجةِ حرارة)001(مئويّ"، فهي جملةٌ مختصَرةٌ - 00:07:31
لو أردنا أن نُكملها، فأيُّ الجُمل التالية تراها أولى بالصّواب: - 00:07:37
)اللاشيء(أوجَد الماء وجعله صُدفةً يغلي على)001(مئوي؟ - 00:07:41
أم الماءَ أوجدَ نفسهُ وجعلها تغلي على هذه الدرجةِ صُدفةً؟ - 00:07:45
أم)الله(أوجَد الماءَ وجعلهُ يغلي على هذه الدرجة عن علمٍ وحكمةٍ - 00:07:50
ليؤدّي وظيفةً في كونٍ مخلوقٍ لغايةٍ؟ - 00:07:56
القوانينُ ما هي إلا أوصافٌ لأفعال الله تعالى في خَلقِه - 00:07:59
وجودُ القوانينِ ووجودُ الخواصّ للأشياءِ لا يعني أنّ حالةَ الإتقانِ هذه - 00:08:04
أصبحت ذاتيّةً تلقائيّةً مُستغنيةً عن الخالقِ والمسبِّب الأول لكلّ شيءٍ - 00:08:09
لو قلتُ: "فلانٌ يكتب بسرعة)001(كلمةٍ في الدّقيقة"، هل هذا قانونٌ حاكمٌ يحكم فلانًا؟ - 00:08:15
هل لو قرّر فلانٌ التوقُّف عن الكتابة فإنّ أزرار الحاسوب ستنضغط تلقائيًا - 00:08:21
بسرعة)001(كلمةٍ في الدقيقة؟ - 00:08:26
فالقوانين أوصافٌ لفعل فاعلٍ مختار - 00:08:29
نشأنا ونحن نرى الكون بهذا النّظام، - 00:08:32
فأصبح هذا النّظامُ هو الحالة الافتراضيّة التي لا نتصوّرُ غيرها - 00:08:34
وتعامَلْنا وكأنّ خواصّ الأشياءِ ذاتيّةٌ فيها، تلقائيّة، - 00:08:39
وكأنّ الجمادات اختارت عن عِلْمٍ وإرادةٍ أن تكونَ لها هذه الخواصُّ - 00:08:43
ولو تفكّرنا، لشاهدنا تجلّيات القدرة الإلهيّة في جميع الموجودات، - 00:08:49
ولم نرَ مؤثِّرًا في الوجودِ سوى الله، - 00:08:54
ولعلِمنا أنّه ليس هناك شيءٌ ذاتيٌّ على الحقيقة إلّا الخالق، - 00:08:57
والسّببُ الأوّل، والمحرّكُ الأوّل لكلّ الخلائق، فهو الّذي يعطي الجمادات خواصّها - 00:09:01
لذلك ترى القرآن ينسب أفعالًا كثيرةً إلى الله مع أنّها مُحدّدةٌ بقوانين وبقوى الطبيعة: - 00:09:08
﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾]القرآن 31: 71[- 00:09:15
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾]القرآن 42: 34[- 00:09:18
﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾]القرآن 01: 22[- 00:09:21
أنزلَ من السّماءِ ماءً بخاصيّة التكاثف التي خَلَقها في الماء - 00:09:24
يُزجي سحابًا بالرّياح التي تَنشأ من خواصّ التّضاغُطِ والتّخلخُلِ التي خَلَقها في الهواء - 00:09:28
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ - 00:09:35
إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾]القرآن 76: 91[- 00:09:41
وزمامُ الموادِّ كلّها والقوانينِ كلّها والخواصّ كلّها بيدهِ -سبحانه، - 00:09:43
والموجوداتُ كلُّها -من أصغر الجُسَيْمات إلى أعظم الأجرام- مُفتقرةٌ إليه، - 00:09:49

ليس لها ذاتيّةٌ ولا تلقائيّةٌ ولا غِنى لها طَرفةَ عينٍ عنه -سبحانه- - 00:09:55
فهو ﴿اللّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾]القرآن 2: 552[الّذي يقوم على أمر السّماوات والأرض - 00:10:01
﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾]القرآن 2: 552[إذْ لو حصل هذا لزالتِ السّماوات والأرض - 00:10:07
لكنْ، ﴿إِنّ اللّهَ يُمْسِكُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾]القرآن 53: 14[- 00:10:13
وإذا اتّضح هذا المعنى لنا فإنّنا سنُوقِن أنّه ليس هناك كائنٌ عاديٌ في ذاته وآخرُ عجيبٌ، - 00:10:17
وإنّما الاعتيادُ مِن طرفنا نحن لطول الأُلْفة بمشاهدة كائنٍ ما - 00:10:24
وإلّا فكلُّ ما في الوجود عجيب! - 00:10:29
وإذا استقرّ هذا في نفوسنا فلن نستخدم عبارةً مثل: "التّدخُّل الإلهيّ" - 00:10:31
إذْ ليس في الكون ذاتيّةٌ ولا تلقائيّةٌ على الحقيقة أصلًا، - 00:10:37
حتى يتدخّل الله في شيءٍ فيه، - 00:10:41
بل لا يستغني شيءٌ منه عن إمساك الله له طَرْفة عينٍ. - 00:10:43
كانت هذه مقدِّمةً مهمّةً لا أسمحُ لنفسي أنْ أستعرضَ نماذجَ من الإتقانِ في الخَلْق قبلها، - 00:10:48
وعلى ضوئها نُوردُ هذه النماذجَ في الحلقاتِ القادمة -بإذن الله- - 00:10:55
والسّلامُ عليكم - 00:10:59
)مؤثرات صوتية(- 00:11:01